دراسات الأدب المعاصر، السنة السادسة، صيف ۱۳۹۳، العدد الثانی والعشرون: صص۲۵- ۴۴

بلاغة تقديم المسند إليه فی خطب نهج البلاغة*

بختيار مجاز*
سردار اصلانی**
نصرالله شاملی***

تاريخ دريافت: ۹۲/۸/۲
تاريخ پذيرش: ۹۳/۲/۵

الملخّص

يعتبر المسند إليه وأحواله(منها التقديم والتأخير)، من الموضوعات ذات أهمية بالغة فی علم المعانی. يتمظهر المسند إليه فی المبتدأ والفاعل ونائبه واسم النواسخ والمفعول الأوّل لـ"ظنّ" وأخواتها والمفعول الثانی لـ"أری" وأخواتها؛ كما أنّ حقّه مرتبة التقديم وذلک لأنّ مدلوله هو الذی يخطر بالبال أوّلا ولكونه المحكوم عليه، فيسبق الحكم طبعاً. ولتقديمه دوافع شتی تهدف هذا البحث بمتابعة المنهج الوصفی- التحليلی، دراستها فی خطب نهج البلاغة. توصلت نتائج الدراسة إلی أنّ *الإمام علی*(ع) قد عُنی عناية شديدة باستخدام المسند إليه للتعبير عن أفكاره ولتصوير خوالج صدره. فالأغراض البلاغية الكامنة وراء تقديم المسند إليه فی خطب الإمام لا تقتصر علی الاهتمام والاختصاص فقط؛ إذ تتجاوز إلی غيرها كتعجيل المسرة فی السامع والتحذير والتشويق والمدح والتعظيم والتحقير والدعاء وذكر السبب وإفادة الشمول ونفيه.

الكلمات الدليلية: المسند إليه، التقديم، الغرض، الخطبة، الإمام علی، نهج البلاغة.

---

* هذه المقالة مستخرجة عن اطروحة الدكتوراه.

* طالب الدكتوراه فی فرع اللغة العربية وآدابها بجامعة اصفهان. كلية اللغات الأجنبية. bmojaz@yahoo.com
** عضو هيئة التدريس فی قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة اصفهان(استاذ مساعد).
*** عضو هيئة التدريس فی قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة اصفهان.
الكاتب المسؤول: بختيار مجاز

المقدمة

إنّ «نهج البلاغة» نبع ثرّ ورافد غزير من روافد العربية الشريفة، فهو يتضمن من عجائب البلاغة وغرائب الفصاحة وثواقب الكلم الدينية والدنياوية ما لا يوجد مجتمعاً فی كلام ولا مجموع الأطراف فی كتاب. والقارئ لهذا الكتاب الثمين يجد أنه كيف جاء مختلف العبارات والأساليب فيها منسجمة ومتناسبة مع المعانی المتوخية. ومن الأساليب ذات قيمة فنية بالغة فی تأدية الأفكار والتجارب الشعورية المارّة *بالإمام علی*(ع)، أسلوب التقديم والتأخير الذی يحاول هذا البحث دراسة جانب منه فی خطب «نهج البلاغة» وهو بلاغة تقديم المسند إليه. فبما أنّ أميرالمؤمنين(ع) كان مشرع الفصاحة وموردها، فنراه يستخدم آلية التقديم للتعبير عن كوامن صدره ولرسم صوره الذهنية. فجاءت كل جملة تخدم نوايا صاحبها وتؤدّی دورها التعبيری وهذا ما يشير إليه التنوع الدلالی الموجود فی الأغراض البلاغية الكامنة وراء تقديم المسند إليه فی خطب الإمام.

الدراسات السابقة

توصّلت نتائج بحثنا عن موضوع مقالتنا هذه فی الكتب والمجلات والمواقع الإنترنتيّة إلى أنّه لا توجد دراسة تتناول ظاهرة التقديم والتأخير وأغراضها البلاغية فی خطب «نهج البلاغة». وما عثرنا عليه رسالة معنونة بـ«بلاغة تقديم المفعول فی نهج البلاغة» قدّمتها *زهرا رنجدوست* فی جامعة خوارزمی بطهران للنيل علی درجة الماجستير فی اللغة العربيّة وآدابها. والفرق بينها و بين دراستنا هذه واضح لا يحتاج إلی الذكر. وأيضا هناک رسالة تحمل عنوان «كاركرد عوامل انسجام متنی در خطبه‌های نهج البلاغه بر اساس الگوی نقش گرای هاليدی» قَدّمها *عليرضا نظری* فی جامعة تربيب مدرس بطهران للنيل علی الدكتوراه فی اللغة العربيّة وآدابها، قام الباحث فيها بدراسة الترابط بين أجزاء النص فی نهج البلاغة فی ثلاثة مستويات: المعجمی واللغوی والصوتی. وهناک دراسات عديدة أُنجزت فی مجال التقديم والتأخير وبلاغتها فی القرآن الكريم والنصوص العربيّة شعراً ونثراً، منها:

- بلاغة التقديم والتأخير فی القرآن الكريم *لعلی أبی القاسم عون*
- التقديم والتأخير فی القرآن *لحميد أحمد عيسی العامری*

- التقديم والتأخير فی التوقيعات دراسة نحوية *لعيد سالم العرجان*
- جماليات التقديم والتأخير فی روميات *أبی فراس الحمدانی لمحمد صالح شريف عسكری وعلی أسودی*

فهذه المقالة اطلالة جديدة على خطب «نهج البلاغة» تسعى الكشف عن الجماليات البلاغية لتقديم المسند إليه، معتمدةً على مصادر مختلفة منها: «دلائل الإعجاز» *لعبدالقاهر الجرجانی* و«الإيضاح فی علوم البلاغة» *للعلّامة القزوينی* و«جواهر البلاغة» *لأحمد الهاشمی*. وتنصب دراستنا على الإجابة عن هذا السؤالين: هل جاء تقديم المسندإليه فی خطب «نهج البلاغة» للتعبير عن عواطف *الإمام علی*(ع) وأفكاره؟ ما هی الأغراض البلاغيّة الكامنة وراء آلية تقديم المسند إليه فی خطب *الإمام علی*(ع)؟

مفهوم التقديم والتأخير فی اللغة والاصطلاح

أنجبت جولتنا الدراسية فی البحث عن مادّة «التقديم» النتيجةَ، بأنّ «القاف والدال والميم أصل صحيح يَدُلّ على سبق ورعف، ثمّ يفرع منه ما يقاربه. فيقولون القدم خلاف الحدوث ويقال شیء قديم إذا كان زمانه سالفاً»(ابن فارس، د.ت: مادة قدم). وجاء فی «أساس البلاغة»: «قادمة الرّحل: نقيض آخرته. ومنه مُقدَّمَةُ الجيش ومُقدّمته: الجماعة المتقّدّمة»(الزمخشری، ۲۰۰۳: مادة قدم). والتأخير خلاف التقديم. أمّا بالنسبة إلى مفهوم التقديم والتأخير فی الاصطلاح فقد ذكر بعض العلماء كلاماً عن هذا الأسلوب، كقول *العسكری*: «وتجد اللفظة لم تقع فی موقعها ولم تصل إلى مركزها ولم تتصل بسلكها وكانت قلقة فی موضعها متأخرة عن مكانها، فلا تكرهها علع اغتصاب الأماكن والنزول فی غير أوطانها»(العسكری، ۱۹۸۶: ۱۴۰- ۱۴۱)؛ أمّا *الجرجانی* فقد قال: «أن تجدَ سببَ أن راقک ولَطُفَ عندک أن قُدِّم فيه شیءٌ وحُوِّل اللفظُ عن مكانٍ إلى مكان»(الجرجانی، ۱۹۸۴: ۱۰۶)، *فالجرجانی* يرى أنّ التقديم، هو تحويل اللفظ من مكانه الى مكانٍ آخر. وعلى هذين القولين ونظائرهما استطاع العلماء المحدثون وضع تعريف لأسلوب التقديم، كقول أحدهم عن التقديم أنه «تغيير لبنية التراكيب الأساسية أو هو عدول عن الأصل يكسبها حرية ورقة ولكن هذه الحرية غير مطلقة»(مطلوب، ۱۹۸۷: ۴۱).

فالجملة هی عبارة عن تراکیب لها بنیة معینة بحیث تکون الجملة اسمیة أو فعلیة تبعاً لبنائها وأسلوب التقدیم والتأخیر هو تغییر فی هذه البنیة، أو عدول عن الأصل بتغیر الکلمة عن مکانها، وهذا التحول فی أماکن الکلمات داخل بنیة الجملة یعطی تلک المفردات نوعاً من الحریة فی ترک أماکنها والحلول فی أماکن أخری هی لیست أماکنها فی الأصل، غیر أنّ هذه الحریة لیست مطلقة أو عشوائیة.

التقدیم والتأخیر عند البلاغیین

تعتبر ظاهرة التقدیم والتأخیر من الظواهر المهّمة التی تمتّعت بعنایة البلاغیین وفی طلیعتهم *عبدالقاهر الجرجانی*، حیثما یعتقد بأنّ هذه الظاهرة من الجوانب المهمّة فی تعلیق الکلم، فتبدأ من المعانی النحویّة فی نفس المتکلّم وتنتهی إلی الألفاظ والکلمات(الجرجانی، ١٩٨۴: ۴٩). أوّل من أشار إلی هذه الظاهرة بالبحث والدراسة عنها وسببها فهو *سیبویه* الذی یعتقد بأنّ تقدیم المفعول جاء لغرض بلاغیّ وهو العنایة والاهتمام به(اسماعیل نعیم، ١٩٩٩: ١٣٠)؛ فیقول: «وکأنّهم یقدّمون الذی بیانه أهّم لهم وهم ببیانه أعنی وإن کانا جمیعاً یهمّانهم ویعنیانهم»(سیبویه، ١٩٩٠: ج٢۴/١).

ثم جاء *عبدالقاهر الجرجانی* یقتفی أثر *سیبویه* حیث خصّص باباً واسعاً لآلیّة التقدیم والتأخیر، وقسمها فی بدایة بابها إلی نوعین: النوع الأول هو التقدیم علی نیّة التأخیر(التقدیم المعنوی) حیثما لا یختلف الحکم الإعرابی للکلمة بمجرد نقله عن موضعه الأصلی وهو یضم تقدیم المسند؛ کخبر المبتدأ وتقدیم المفعول والنوع الثانی هو التقدیم لاعلی نیّة التأخیر(التقدیم اللفظی)، حیثما یخرج الشیء بالتقدیم عما کان علیه وهو یشمل تقدیم المسند إلیه؛ مثل تقدیم الفاعل علی الفعل، إذ یخرج من الفاعل إلی المبتدأ.

بعد ذلک یتناول آراء القدامی خاصةً *سیبویه* حول أسباب التقدیم التی حصروها فی العنایة والتخصیص، فیطعن هذه النزعة حیث یقول: «وقد وقع فی ظنون الناس أنّه یکفی أن یقال إنّه قُدّم للعنایة ولأنّ ذکره أهمّ، من غیر أن یذکر من أین کانت تلک العنایة وبم کان أهمّ. ولتخیّلهم ذلک قد صُغّر أمر التقدیم والتأخیر فی نفوسهم، وهوّنوا الخطب فیه»(الجرجانی،١٩٨۴: ١٠٨). فبناءً علی هذا یعتقد *الجرجانی* أنّ قصر التقدیم علی

العناية والاهتمام يحطّ من شأنه البلاغی، فيجب أن توضّح جوانبها وتدقّق فی أطرافها حتی تكشف ظلالها وتظهر قيمتها الجماليّة. ومما يرتبط بأسباب التقديم و التأخير عند الأديب هو تصوير التجارب الشعوريّة التی تُصادفه آناءَ الخلق الأدبی، حين تخامره مشاعر وعواطف تنفجر فی ضميره وتتبلور فی قالب ينزاح عن الضوابط والشكليّات المألوفة، كما يُؤدّی الأمر إلی استرعاء انتباه المتلقّی وإثارة أحاسيسه. فكلّ تغيير فی البنية السطحيّة للجمل فإنّه إبداع فنّی تكمن وراءه دلالة تتلاءم والحالة الشعوريّة للأديب.

المسند إليه وبلاغة تقديمه فی خطب نهج البلاغة

تتكوّن الجملة العربية من الركنين: المسند ويسمّی محكوماً به أو مخبراً به والمسند إليه، ويسمّی محكوما عليه أو مخبرا عنه والنسبة بينهما فتدعی إسنادا (الهاشمی، ۱۴۲۵: ۱۱۶و ۱۲۴)، والإسناد هو تركيب اسم مع اسم أو ضمه إلی فعل والنحاة لا يقصدون به كلّ تركيب بل التركيب الذی يجعل من أحدهما خبراً عن الآخر وحديثاً عنه بحيث يفيدان معنا تامّا(رضی، ۲۰۰۰:ج۱۹/۱). وإذا لم ينضمّ التركيب إلی فاعل ظاهر أو مقدّر فلا يفهم منه معنی تام ولا يفيد خبراً للسامع، فليس المقصود إذا أیّ تركيب بل التركيب الذی يجعل الكلام تامّ الفائدة ويحسن السكوت عليه(ابن يعيش، ۲۰۰۱: ج۷۲/۱).

مصطلحا المسند والمسند إليه موجودان منذ عهد *سيبويه* غير أنَّ من جاء بعدهُ من النحاة، تركوا استعمال هذين المصطلحين واستعملوا مصطلحی المبتدأ والخبر والفعل والفاعل؛ أمّا البلاغيون فانهم أخذوهما وبنوا عليهما دراساتهم فی علم المعانی فانحصرت فی المسند والمسند إليه وما يتبعهما من ذكر وحذف وتقديم وقصر(مطلوب، ۱۹۸۰: ۱۳۲) وللتقديم والتأخير تأثير علی نظم الكلام وسياقهِ وعلی الجملة ومما تتكوّن منه من مسند ومسند إليه، فلک أن تتسأل: لم اختيرت هذه الكلمة دون غيرها من مرادفاتها ومثيلاتها ومما يؤدی معناها ولماذا أخذت مكانها فی الجملة الإسنادية فتقدّمت أو تأخّرت؟ وهذا كلّه من دواعی النظم «نظم الألفاظ حسب المعنی، فتقدّم المسند تارة وتؤخّره تارة أخری»(الخطيب، ۱۹۶۴ : ۲۰۵).

كما ذكرنا آنفاً يعتبر تقديم المسند إليه من التقديم الذى لا على نية التأخير والمقصود بالمسند إليه المقدّم، هو الذى معناه الحقيقى فاعل أو مفعول ومعناه الوظيفى مبتدأ أو ما فى حكمه من اسم كان وأخواتها واسم إنّ وأخواتها. وغالباً يتمظهر المسند اليه المقدّم فى صورة المبتدأ بأشكاله المختلفة كالإسم المعرفة والضمير والنكرة الموصوفة وغير الموصوفة وفى لفظ "كلّ" و"الذى" وضمير الشأن واسم النواسخ. وبما أنّ"المسند وصف والمسند إليه موصوف، والعادة أن يتقدّم الموصوف ثم تتلوه صفته"(الجوارى،١٩٨٧:٨٦). فيتقدّم المسند إليه لأغراض بلاغية خاصة يتابعها الأديب تعبيراً عما هو بصدده فى النص. من أهم هذه الأغراض فى خطب نهج البلاغة:

١- تعجيل المسرة

نلاحظ هذا الغرض فى تقديم المبتدأ، حيث يقوم *الإمام علی*(ع) بالتوجيه المعنوى لجنوده واصفاً إياهم بصناديد العرب وأكابرهم، وبعد تحذيرهم من عواقب الفرار السيئة الخطيرة يرغبهم فى الجهاد بقوله: «الجنة تحت أطراف العوالى»(الخطبة١٢٤). فتقديم المبتدأ(الجنّة)فى مثل هذا الموضع الذى يفيض بأجواه الحماسة والثورة يحدث المسّرة والفرح لدى السامع لِإنجاز ما حُرّض عليه من الإقدام و القيام بأكبر الأمور كالقتال والمواجهة للعدوّ. وبما أنّ الجنّة بغية كلّ مؤمن مسلم يرى فيها مرضاة الله ومصاحبة أصفيائه، فجاء بها الإمام(ع) فى مستهل الجملة حتى يتحقق غرضه من تحريض الجنود على مقاتلة أعداء الله. وكذلک قوله: «الجنّة غاية السابقين... »(الخطبة ١٥٧).

جاء فى نفس الغرض والخطبة تتمحور حول الاعتبار بالماضيّين وتصوير مآل الإنسان؛ إذا كان سبّاقاً إلى الخيرات فمآله إلى الجنّة وإذا كان مسارعاً إلى السيئات فمصيره إلى النّار. ومنه قوله(ع) فى التأكيد على المبادرة إلى العمل الصالح قبل فوات الوقت: «مافاتَ أمسِ من العُمرُ لَم يَرجُ اليومَ رجعتُهُ. الرجاءُ مَعَ الحائى، واليأسُ مع الماضى»(الخطبة١١٤). فتعجيل المسرة سبَّب تقديم المبتدأ وهو الرجاءُ؛ لأنّه ضدّ اليأس والقنوط ومستفزّ لمشاعر السرور والفرح لنفس الإنسان وهو الطاقة المعنويّة لحبِّ الحياة فيه ولولاه لكان العيش ضنكاً وصعباً؛ فإذا بالإمام(ع)وهو عالم بنفسيّة الإنسان وخصائله

السیکلوجیّة، فقدّم فی کلامه ما یلائم مع هذه الخصال وذلک تقدیم لَبّی ما توخّاه الإمام(ع) من ترغیب المخاطب فی القیام بالعمل الصالح.

۲- تشویق السامع إلی استماع الخبر

وذلک نحو قول *الإمام علی*(ع) فی الإخبار عن الحوادث العجیبة: «إنّ الذی أنبّئکم به، عَنِ النبّی الأُمّی...»(الخطبة۱۰۱)؛ فتقدیم المسند إلیه(الّذی أنبّئکم به) أحدث تشویقاً لدی السامع؛ لأنّ المسند إلیه فیه بعض الغربة، ممّا یجعل السامع یتساءَل عن هذا الذی یریدُ الإمام أن یُنبّئ به، فیأتی المسند لیجیب عن هذا التساؤل، فیقول: «عن النبی الأُمیّ».

ومن الشواهد الأخری ذات نفس الدلالة البلاغیّة المذکورة، قوله(ع)فی وصف البعث والنشور والإخبار عن مغبّة المؤمنین الصالحین: «فأمّا أهلُ الطاعة فأثابهم بجواره، وَخَلّدهم فی داره....»(الخطبة۱۰۹)، ففیه تقدیم للمسند إلیه (أهل الطاعة) علی الخبر الفعلی(أثابهم بجواره)، حیث جعل تقدم المسند إلیه المتلقی یتلهّف إلی استماع الخبر کأنّه یترقّب الاطلاع علیه. ومنه قول *الإمام علی*(ع) فی الإشارة إلی غرور الدنیا وهو یعظ أصحابه علی الانقطاع عنها: «وإنّ السعداء بالدنیا غدا هم الهاربون منها الیومَ»(الخطبة۲۲۳)فتقدیم المسند إلیه المتمظهر فی اسم إنّ(السعدأ)یکون سببا إلی معرفة المسند المتأخّر؛ لأنّه یجعل النفس تتشوق إلی ذکر المتأخّر، فما إن یتلقّ السامع ذکر الإمام(ع) للسعداء حتی یتوق إلی التعرف علیهم، وذلک لأنّ السعادة ممّا یبتغیه الإنسان وکأنها ضالّته التی لایزال یقصد کلّ صوب باحثاً عنها.

۳-التحذیر

وقد یُقدَّم المسند إلیه للتحذیر منه ومن عواقبه؛ مثل قول النبی(ص): «التثاؤب مِن الشیطان»(البخاری، د.ت: ج۱۵۲/۴)؛ قُدّم المسند إلیه(التثاؤب)،لأنّه الأصل ولتعجیل التحذیر منه؛ إذا إنّ الشیطان یضحک عندما یتثاءب المسلم، فالنبی(ص)یحثّ وینبّه المسلمین علی محاولة الامتناع عن التثاؤب أو الاستعاذ من الشیطان عند هذا العمل(نفس المصدر، ج۵: ۶۴). وفی نفس الغرض نلاحظ قول *الإمام علی*(ع) وهو یحذّر

أصحابه من الشيطان وخدعه المهلكة: «إنّ الشيطانَ يُسنّی لكم طُرُقَه ويريد أن يَحُلَّ دينكم عقدةً عقدةً ويعطيكم بالجماعة الفُرقَةِ...»(الخطبة١٢١)؛ فقدّم الإمام(ع) المسند إليه وهو الشيطان، ليحذّر أصحابه مِن ألدّ أعداء الإنسان وأكبرهم، فإنّه هو الذی يسهّل سبله للمؤمنين ويحاول أن يبديها سهلة المراس لهم لكی يخدعهم ويقوّض أسس دينهم الرصيصة بالتفريق بين أهله وتابعيه. وبما أنّ *الإمام عليا*(ع)كان حريصاً علی المسلمين ودينهم، فبادر فی كثيرٍ من كلماته الناصحة إلی تحذيرهم مما يهدّد عقيدتهم الطيّبة.

وفی مكان آخر يقدّم الإمام يقدّم الإمام المسند إليه لغرض التحذير وهو قوله: «واعلموا أنّ مجالسةَ أهل الهوی مَنساةٌ للإيمان ومحضَرةٌ للشيطان»(الخطبة٨٦)؛ فقدّم الإمام المسند إليه(مجالسة أهل الهوی)؛ لأنّها تبعث علی نسيان الإيمان وتجلب الشيطان، فينبغی للمسلم أن يجانبها ويكون علی حذرٍ من شهودها. وفی نفس الخطبة يواصل الإمام كلامه فی التحذير من الشيم الوضعية حتی يتطرق إلی أشدّها خطراً وهو الحسد، فالتحذير منه ومن خواتيمه المهدّدة للإيمان أدّی إلی تقديمه حيث يقول *الإمام علی*(ع): «ولاتَحاسدوا، فإنّ الحسدَ يأكُل الإيمانَ، كما تَأكُل النارُ الحطبَ»(نفس الخطبة).

وقد يكون التحذير بتقديم المسند إليه النكرة؛ كما جاء فی قوله(ع) وهو يخبر عن مستقبل البصرة الدامی: «فويلٌ لكِ يا بصرةُ عند ذلک من جيشٍ من نِقَم الله... وسيُبتلی أهلُكِ بالموت الأحمر والجُوع الأغبر»(الخطبة١٠٢). لقد قدّم *الإمام علی*(ع) كلمة «ويل» وهی ضدّ الخير، فهو بتقديمه لهذه الكلمة التی تبعث الرعبَ لدی السامع، يحذّر أهل البصرة من الوقوع فی العذاب والهلاک.

٤- التوبيخ

وقد يقدّم المسند إليه علی المسند لغرض التوبيخ والتقريع أی التعنيف، وذلک مثل قوله تعالی: ﴿فلمّا جاء سليمانَ قال أتُمِدّونَنِ بمالٍ فما آتانِ اللهُ خيرٌ مِمّا آتاكُم بل أنتم بهديّتكم تفرحون﴾ (سورة النمل، الآية٣٦)؛ ففی تقديم المسند إليه توبيخ لهم لفرحهم بهديّتهم التی أهدوها إلی *سليمان*(ع)، افتخاراً واعتداداً بها(الزمخشری، ١٩٨٧: ج٣/٣٦٦). ومن ذلک فی خطب «نهج البلاغة» قول أميرالمؤمنين(ع) فی توبيخ الذين حالوا بينه وبينَ حقّ الإمام فی

الخلافة: «إنّما طلبتُ حقّا لی وأنتم تحولون بینی وبینه وتضربون وجهی دونَه»(الخطبة۱۷۲)؛ فقدّم الإمام(ع) ذکر المسند إلیه (أنتم) تحقیقاً لما یتوخاه من توبیخٍ وتعنیفٍ لِمن اتهّموهُ بالحرص علی الخلافة، وها هم أحرص علیها علی الرغم من کونهم أبعد من النبی(ص) نسباً! وفی هذا التقدیم غرض آخر وهو تخصیص المسند إلیه بالمسند الذی حصل بتقدّمه علی الخبر الفعلی المثبت.

یقول *عبدالقاهر الجرجانی*: «فإذا عمدتَ إلی الذی أردت أن تحدّث عنه بفعلٍ، قدّمت ذکره، ثمّ بنیت الفعل علیه، فقلت: «أنافعلتُ»و «زیدٌ قد فعل»: اقتضی ذلک أن یکون القصد إلی الفاعل...»(الجرجانی، ۱۹۸۴: ۱۲۸). ثمّ یشیر إلی الغرض البلاغی الکامن وراء هذا النوع من التقدیم وهو التخصیص بقوله: «أن یکون الفعل فعلاً قد أردت أن تنصّ فیه علی واحدٍ فتجعله له، وتزعُمَ أنّه فاعله دون واحدٍ آخر،أو دون کلِّ أحدٍ...»(نفس المصدر والصفحة). فکلام *الجرجانی* ینبّهنا علی أنّنا إذا أردنا أن نجعل الفعل لفاعلٍ دون إشتراک أحدٍ، فأسهل الطرق إلی ذلک، هو تقدیم المسند إلیه والمجیء بالخبر علی الفعل المثبت. فإذا أُخّر الفاعل المعنوی(المبتدأ)، یَصِحّ العطف علیه بالمشارکة، والعطف یقتضی مشارکة الغیر بالفعل، فقُدِّم لأجل نفی تلک المشارکة.

وفی خطبة أخری یؤنّب الإمام(ع) أهل الکوفة بقوله: «أظأرُکُم علی الحقّ وأنتم تنفرون عنه نفورَ المِعزی من وعوعة الأسد»(الخطبة۱۳۱)؛ فَخُصِّصَ الکوفیّون بالتوبیخ والتقریع، إذ جاء ذکرهم بالمسند إلیه المقدّم(أنتم) علی الخبر الفعلی المثبت، فلو لم یُقدَّم المسند إلیه، لیُظَّنُ أنّ الفعل قد حدث عن الکوفیین وغیرهم، فتقدیم المبتدأ وهو الفاعل فی المعنی أزال شبهة المشارکة فی الخبر(تنفرون).

وأحیانا یمزج الإمام التوبیخَ بقدرٍ من الاحتجاج والاعتراض وذلک نحو قوله فی ذکر أسباب هزیمة أهل الکوفة: «صاحبکم یطیع اللهَ وأنتم تعصونه...»(الخطبة ۹۷)؛ فتقدیم المسند إلیه(أنتم) فی هذا القسم من الخطبة الذی یدور حول شکوی الإمام من الکوفیین وتوبیخهم، یوحی بلون من الاحتجاج علیهم، لأنهم بعصیانهم لقائدهم جعلوه یرتضی أن یصارفه *معاویة* بهم، فیقول: «لَوَدَدتُ واللهِ أنّ معاویة صارفنی بکم صرفَ الدنیا بالدرهم، فأخذ منّی عشرة منکم وأعطانی رجلاً منهم»(نفس الخطبة).

وكذلک يقول فی ذكر أسباب قبول التحكيم: «أريدُ أن أداويَ بكم وأنتم دائی،كناقش الشوكة بالشكوة وهو يعلم أنّ ضَلعها معها»(الخطبة١٢١). إنّ تقديم المسند إليه(أنتم) فی هذه الخطبة التی تتمحور حول تعنيف *الإمام علی*(ع) للكوفيين، جاء لتحقيق غرض التوبيخ الممزوج بالشكوی والاحتجاج؛ لأنّه يری أصحابه من أهل الكوفة، سبب آلامه؛ بل لا يری له داءً إلاّ هؤلاء القوم، فلا غرو أن يخصهم باللوم والتوبيخ العنيفين.

٥- المدح

جاء هذا الغرض فی الحديث النبوی الشريف حيث يقول رسول الله(ص): «قام موسی خطيباً فی بنی اسرائيل، فسُئل أیّ الناس أعلم؟ فقال: «أنا أعلم...»»(البخاری، د.ت: ج٤١/١). إن *موسی*(ع)فی هذا الحديث يمدح نفسه وطريقة المدح بتقديم المسند إليه (أنا) علی المسند(أعلم). وعلی هذا النسق نجد هذا الغرض فی كلامٍ *لعلیّ بن أبی‌طالب*(ع)حيث يقول: «إنّما أنا قُطبُ الرّحی، تدور عَليَّ وأنا بمكانی...»(الخطبة١١٩)؛ فتحقّق غرض المدح بتقديم المسند إليه (أنا) علی المسند(قُطب الرحی). «فإيقاع المسند إليه فی أوّل الكلام يجعل السامع متلهفاً إلی سماع الخبر ويكون مهيّئا لقبوله، فإذا ذكر ازداد قوّة وتمكّنا»(العارمی، ١٩٩٦: ٧٧).

كذلک قوله(ع) فی توبيخ أهل البصرة: «أنا كابّ الدنيا لوجهها وقادرها بقدرها وناظرُهابعينها»(الخطبة١٢٨)؛ فقدّم المسند إليه «أنا» لغرض المدح. وممّا يجدر بالذكر حول هذا الغرض عند *الإمام علی*(ع) وهو المتباعد عن الأنانيّة والافتخار بالنفس، أنّه لا يوجد عنده إلاّ إذا اضطرّ إلی ذلک، والضرورات كما يقال تبيحُ المحظورات، فيما إذا اشتد انكار المنكرين والأعداء ونسبوه إلی الحرص علی الخلافة، عند ذلک ينبری ليدفع التهمة عن نفسه ويبيّن موقعه من الدنيا وزخارفها. ولكی يوضّح ضرورة الطاعة عن أهل البيت(ع) و هو منهم، يمتدحهم بقوله: «نَحنُ الشِّعارُ والأصحاب والخَزَنَةُ والأبوابُ؛ ولا تُؤتی البيوتُ إلاّ مِن أبوابها...»(الخطبة١٥٤)؛ فتقديم المسند إليه(نحن)حقّق المدح لأهل البيت فی هذا الجوّ الذی خلقه الإمام للإشادة بدورهم الريادی فی المجتمع الإسلامی، وكأنّه خطاب موجّه إلی المتنكّرين لنسبة أهل البيت(ع) من الرسول(ص). وفی مكان آخر يذكر الإمام خصائص أهل البيت(ع) ويحصی لهم من الصفات ما لا يشاركهم فيها أحد،

فيقول:«وهم أزمّة الحقّ وأعلام الـدّين وألسـنة الصـدق»، فقـدّم المسـند إليـه(هم) لكـی مدحهم بما جاء متأخّرا.

لم يقتصر المدح فی كلام *الإمام علی*(ع) علـی أهـل البيـت، إذ نـراه يمتـدح أصـحابه المحسنين بقوله: «أنتم الأنصار علی الحقّ والإخوان فی الدين، والجُنَنُ يوم البأس والبطانة دون الناس...»(الخطبة۱۱۸)؛ فَقُدّم الأنصار وهو المسند إليه لتخصيصهم بالمدح. فالمتكلم أو القائل عندما يريد أن يمدح شخصاً ما، يُقدّم اسمه أو ما يدلّ عليه، «وذلک أنّ مِن شأن المادح أن يمنع السامعين من الشک فيما يمدح به ويباعـدهم مـن الشـبهة»(الجرجـانی، ۱۹۸۴: ۱۳۵)، فهو بتقديمه للمسند إليه (الممدوح) يجعل السامعين يقتنعون بما يمتدح به ذلک الشخص فلا يساوره أیّ شک فی الممدوح.

۶-التعجّب والاستغراب

قد يتقدّم المسند إليه علی خبره الفعلی لإظهار التعجب والاستغراب مِن أمرٍ ما، وَذلک نحو قول *الإمام علی*(ع) فی ذكـر عجـز الإنسـان عـن إدراک قـدرة الله فـی بـدائع خلقـة الطاووس: «وأقَلُّ أجزائه قد أعجز الأوهام أن تدركه والألسـنةَ أن تصـفه...»(الخطبـة۱۶۵)؛ فقدّم الإمام المسند إليه وهو الفاعل المعنوی ليُعرب عن حالة العجب التـی اعترتـه تجـاه عجز أوهام البشر عن إدراک أقلّ أجزاء ذلک الطـائر ولعـلّ هـذا الغـرض لـم يفطـن إليـه المتلقّی القارئ عند تأخير المسند إليه عن الخبر الفعلی؛ لأنّ تقديم أیّ جـزءٍ مـن أجـزاء الجملة يبرزه ويجسّمه فی عين القارئ والسامع ويجعله محطّة الأنظار.

وأحيانا يتقدّم المسند إليه بعد إذا الفجائيّة فيدخل العجب والدهشة، فكأنّه يُقدّم شـيئا غير متوقّع فيحدث اهتزازا عند السامع، نحو قول *الإمام علی*(ع)حيث ينصح أحـد أصـحابه لاستخدام الدنيا فی طريق الآخرة: «ما كنتَ تصنعُ بسعةِ هذه الدار فی الدنيا... فإذا أنتَ قد بلغتَ بها الآخرة»(الخطبة۲۰۹). فالقارئ يَظنّ أنّ الإمام يريد رسم صـورةٍ سـلبيّة للـدار لا نفع فيها للإنسان فی الآخرة، لكنّه يُفاجأ بتقديم المسند إليه(أنت)بعدإذا الفجائية وكأنّ ما جاء بعدها هو نقيض لظنّ القارئ. ومن المناذج الرائعـة الدالـة علـی غـرض التعجـب فـی تقديم المسندإليه فی خطب نهج البلاغة ما قاله الإمام(ع) فی إظهار التعجب عـن دخـول *سفيان بن عوف* فی مدينة «الأنبار» وتقاعس الكوفيين عن القيـام بوجـه جـيش *معاويـة*،

فیقول: «هذا أخو غامدٍ وقد وردت خیلُه الأنبار وقد قتل حسّان بن الحسّان البکری...»(الخطبة۲۷) بالرغم من أنّ اسم الإشارة یستخدم غالبا لتمییز المشار إلیه من غیره حتّی یصبح معلوماً لدی السامع؛ لکنّه قد یخرج عن هذا الهدف ویصطبغ بلون من التعجب والاستغراب وهذا ما رأیناه فی استخدام *الإمام علی*(ع)لـ«هذا» وهو المسند إلیه المقدّم الذی یوحی بمعنی التعجب (کرمی میرعزیزی وآخران، ۱۴۳۴: ۱۳۵).

۷- الدعاء

وذلک کتقدیم السلام فی مناجاة *الإمام علی*(ع) للنبی(ص) عند دفن سیدة النساء، *فاطمة*(س): «السلامُ علیک یا رسول الله عنّی وعن ابنتک النازلة فی جوارک...»(الخطبة۲۰۲) للسلام وإلقائه وهو من أسماء الله الحسنی، مکانة بالغة فی التفکیر الإسلامی ونظامه التربوی، فکأنّ الذی یبدأ بالسلام یدعو لمخاطبه بالصحة والسلامة؛ لذلک فإنّ السلام یقوّی أواصر المحّبة والوشائج بین الناس ویدخل الابتهاج والطلاقة فی القلب وهذا السلام «هو أوّل مشروعیّة الإسلام وتخصیصه بالذکر، لأنّه فتح باب العودة و تألیف القلوب المؤدّی إلی استکمال الإیمان»(الشافعی القسطلانی، ۱۹۹۶: ج۷/ ۲۳۴).

وکذلک یقول الإمام(ع)فی مناجاة توحیدیّة: «اللّهم أنت أهل الوصف الجمیل، والتَّعداد الکثیر، إن تُؤمَّل فخیرُ مأمولٍ وإن تُرجَ فخیرُ مَرجُوٍّ»(الخطبة۹۱)؛ فممّا تقدّم نفهم أنّ المقصود بقوله (أنت أهل الوصف...) الدعاء؛ لأنّه یدعو الله فی نهایة مناجاته أن یهبه وسائر المؤمنین رضاه ویغنیهم عَن مَدّ الأیدی إلی سواه: «فَهب لنا فی هذا المقام رضاک، وأغنِنا عَن مَدِّ الأیدی إلی سواک»(نفس الخطبة)، فتقدیم المسند إلیه فی هذه المناجاة تفید التخصیص فی الدعاء؛ لأنه موجَّهٌ إلی الله لا إلی غیره. وأحیانا قُدّم المسند إلیه فی کلام الإمام(ع) للدعاء علی بعض الناس وذلک نحو قوله فی لوم أهل العراق: «...ولَم تکونوا مِن أهلها. ویلُ أمّهِ کیلاً بغیر ثمن لو کان له وعاء»(الخطبة۷۱)؛ فإنّه أراد لعن أهل العراق والدعاء علیهم بتقدیم المسند إلیه(ویلُ أمّه).

۸- ذكر السبب

ورد هذا الغرض فی قول *أبی العتاهية* (۱۳۰-۲۰۸ق) حيث ينشد:

إنّ الشَّـــباب والفـــراغ والجـــده مَفســـدةٌ لِلمـــرء أیُّ مَفســـده

يعتقد الشاعر أنّه إذا اجتمع ثلاثة عوامل وهی الشباب والبطالة والقدرة، فإنها تؤدّی إلی الفساد؛ فقدّم المسند إليه وهو اسم إنّ، للتعجيل فی ذكر الأسباب المؤدية إلی المفسدة، فقد جاءت آلية التقديم تخدم ما توخّاه الشاعر من نصح وإرشاد فی شعره؛ كما أنها أغنته عن الاستطراد فی القول؛ إذ جمع بين شتی البواعث فی مكان واحد. ولهذا الغرض قُدِّم المسندإليه فی كلام *الإمام علی*(ع) حيث يوصی أصحابه بتقوی الله: «عباد الله، إنّ تقوی اللهِ حَمَت أولياء الله محارمه، وألزمت قلوبَهم مَخافته، حَتّی أسهرت لياليَهُم...» (الخطبة۱۱۴)؛ فتقديم المسند إليه (تقوی الله)يفيد سبب مجانبة أولياء الله لِاقتراف المُحرَّمات والتزام قلوبهم بخشية الله وسهرهم فی الليالی. وفی كلام الإمام هذا، توظيف لما يأمر الله به الإنسان فی القرآن الكريم حيث يقول سبحانه وتعالی: «وتَزَوَّدوا فإنّ خيرَ الزادِ التقوی واتّقونی يا أُولی الألباب»(سورة البقرة، الآية ۱۹۷) ومن هذا الغرض قوله(ع) فی التأكيد علی وجوب إطاعة الله: «فإنّ طاعة الله حرزٌ مِن متالف مكتنفة ومخاوف متوقّعة...»(الخطبة۱۹۸)؛ فقدّم الإمام المسند إليه (طاعة الله)لأنّه يراها خير وسيلة تصون الإنسان مِن التعرّض للمصائب الهائلة وتسبّب نجاته من التورّط فی المهالک.

۹- تحقير المتحدث عنه أو تقليل شأنه

من الأغراض البلاغيّة التی تسبّب تقديم المسند إليه، تحقير المتحدث عنه أو تقليل شأنه مِن جانب المتكلّم. وقد ورد هذا الغرض فی كلامٍ *للإمام علی*(ع) وهو يصف المنافقين من رُواة الحديث: «رَجُلٌ منافِقٌ مُظهرٌ للإيمان لايتأثّم ولايتحرّج، يكذب علی رسول الله(ص) متعّمدا...»(الخطبة۲۱۰)؛ فتقديم الإمام للمسند إليه النكرة فی هذا المكان يدلّ علی الحطّ من شأن المتحدث عنه(رجلٌ منافق)، وقد حقّق هذا الغرض استخدام الإمام للمسند إليه النكرة ليُخبر القارئ بأنّ المتحدث عنه ليس له شأنٌ فی الناس ولايُقام له وزنٌ فی الرواة. وجاء هذا الغرض فی كلام آخر للإمام(ع) حيث يصف أهل الشام: «جُفاةٌ طَغامٌ وعبيدٌ أقزام جُمعوا مِن كلّ أوب... ليسوا من المهاجرين والأنصار...»(الخطبة۲۳۸)؛

فالتقليل من شأن الشاميين أدّى إلى تقديم المسند إليه(جفاة طغامٌ) على الخبر الفعلی(جُمعوا).

١٠- التعظيم

نجد هذا الغرض سببا لتقديم المسند إليه وهو لفظ الجلالة نحو قوله تعالى: «الله الذی رفع السموات بغير عود ترونها»(سورة الرعد، الآية٢)؛ فـ(الله) مبتدأ و هو المسند إليه وفی تقديمه تعظيم لشأنه؛ لأنّ البناء علی اسم الجلالة يفيد العظمة وإظهار القدرة(عون، ٢٠٠٦: ج٨٩٩/٣). مما ورد فيه هذا الغرض فی خطب *الإمام علی*(ع)، قوله فی ذكر أسباب سقوط الأمة: «لقد استهام بكم الخبيث وتاه بكم الغرور، والله المستعان علی نفسی وأنفسكم»(الخطبة١٣٣)؛ فالمسند إليه (الله) وفی تقديمه تعظيم لله عزّ وجلّ. وهناك شواهد أخرى فی خطب نهج البلاغة على هذا اللون من التقديم بظلّه الدلالی، نكتفی هنا بالإشارة إلى بعضٍ منها: «إنّ اللهَ أنزل كتاباً هادياً بَيّن فيه الخير والشرّ»(الخطبة١٦٧)، «إنّ الله –سبحانه وتعالى- خلق الخلق حين خلقهم غنيا عن طاعتهم»(الخطبة١٩٣) «واللهُ منجزٌ وعدَه وناصرٌ جنده»(الخطبة١٤٦).

١١- إفادة الشمول أو العموم ونفيه

تعتبر إفادة الشمول أو العموم غرضاً من الأغراض البلاغيّة الهامة لتقديم المسند إليه و«ممّا يتحقّق به هذا الغرض هو تقديم الألفاظ الدالة على العموم مثل الاسم الموصول (الذی) عندما لايقصد به مفرداً بعينه، ولفظ (كلّ) والنكرة الموصوفة فی بعض الأحيان و(كم) الخبريّة»(عون، ٢٠٠٦» ج٩٩٣/٣)؛ أمّا اللفظ الذی نريد دراسة إفادته للمشمول فی خطب «نهج البلاغة» هو لفظ «الكلّ» الذی يقول فيه *الجرجانی*: «وإذا نظرت وجدته قد أُجتُلِب لأن يفيد الشمول فی الفعل الذی تُسنده إلى الجملة أو تُوقعه بها»(الجرجانی، ١٩٨٤: ٢٧٨).

فإنّ تقديم هذا اللفظ فی الإثبات يفيد إظهار الشمول الذی يتضمّنه وتوجيه القصد إليه. ومما ورد هذا اللفظ فی القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿كلُّ‌مَن‌عليهافانٍ﴾ (سورة الرحمن، الآية ٢٦)؛ أی كل من على الأرض، فقدّم المسند إليه(كل) ليفيد استغراق الفناء لكلّ من

علی الأرض دون استثناء ویبرز هذا الاستغراق، ویظهر الشمول والعموم، فالفناء والهلاک واقع علی کل کائن یعیش فوق الأرض. وفی کلام *الإمام علی*(ع): «کلٌّ معطٍ منتقصٌ سواه»(الخطبة۹۱)، قُدّم لفظ (کلّ) لیخصّ بالنقص فی المال کلّ من یُعطی إلّا الله فهو الذی لا یتطرق النقص إلیه. ومن النماذج ذات نفس الغرض فی خطب *الإمام علی*(ع) قوله فی ذکر قدرة الله تعالی: «کُلّ شیءٍ خاشعٌ له...»(الخطبة ۱۰۹)؛ ففی تقدیم المبتدأ (کلّ) إظهار لمعنی العموم الذی یفیده، فجمیع الأشیاء فی العالم من الإنسان والحیوان یخشع لِله ویخضع إلیه.

وقد یتقدّم النفی علی (کلّ) أو یتأخّر عنه، فیکون فی الحالة الأولی لنفی العموم وفی الحالة الثانیة لعموم النفی. وهناک فرقٌ هامٌ بین نفی العموم و عموم النفی و ذلک أنّه إذا بدأت بلفظة (کلّ)، کنت قد سلطت الکلیة علی النفی وأعملتها فیه وذلک یقضی ألا یشذّ عنه شیء، کقولک: کلّ ظلالم لا یفلح ومعناه: لا یفلح أحد من الظلمة وإذا قدّمت النفی علی(کلّ) فیحتمل ثبوت البعض ویحتمل نفی کلّ فردٍ لأنّ النفی یوجَّهُ إلی الشمول خاصة، دون أصل الفعل(هاشمی، ۱۴۲۵: ۱۱۷-۱۱۸). فنمثلّ علی تقدیم(کلّ) بعد النفی المفید لنفی العموم أو الشمول بقول الشاعر، *ابن الوردی*[۱](۶۹۱- ۷۴۹ق):

ما کلٌّ شیء کافیا وإذا قنعتَ فبعضُ شَیء

(ابن الوردی،۲۰۰۶: ۲۲۹)

أراد الشاعر أن یشیر إلی إحدی شیم النفس الإنسانیة وهی الطمع فإنّه یمنع الإنسان من القناعة، فلا یکفیه ما بین أیدیه من مرافق العیش ونعماته کلها إلا إذا قنع و رضی بما رُزق. وهذا ما یدلّ علیه تقدّم "ما" النافیة علی لفظة(کلّ) فی بدایة قول الشاعر حیث یفید نفی العموم. ومن ذلک قول أمیر المؤمنین(ع) حیث یشیر إلی عوامل هلاک البشر: «وما کلّ ذی قلب بلبیبٍ ولا کلٌّ ذی سمعٍ بسمیع، ولا کُلّ ناظرٍ ببصیرٍ»(الخطبة۸۸)؛ یری الإمام العامل الرئیس لهلاک البشر ووقوعه فی المصائب، عدم اعتبار بعض الناس بالحوادث والعِبَر وهذا ما نفهمه من ذکر المبتدأ(کلّ) بعد أداتَی النفی(ما ولا).

[۱].هو عمر بن مظفر المعرّی بن الوردی الملقب بزین الدین وُلد بمعرة النعمان بسوریة وهو من فحول الشعراء فی العصر المملوکی، له کثیر من المصنفات فی شتی المجالات.(ابن الوردی،۲۰۰۶: ۷-۱۰)

وفی خطبة أخری ینفی الإمام استفهام بعض الأصحاب للنبی(ص) عند السؤال عنه بتقدیم "لیس" علی (کل)، حیث یقول: «ولیس کلّ أصحاب الرسول(ص) من کان یسأله ویستفهمه... »(الخطبة ۲۱۱).

۱۲- الاهتمام و العنایة

نجد هذا الغرض فی شتی ملامح تقدیم المسند إلیه کتقدیم اسم کان فی کلام الإمام علی(ع) حیث یقول: «کان رسول الله(ص) نَصِباً بالصلاة بعد التبشیر له بالجنّة...»[۲](الخطبة۱۹۹)؛ فسبب الاهتمام قدّم (رسول الله) وهو المسند إلیه علی الخبر (نصبا بالصلاة)، فلو کان اهتمامه بِجِدّه واجتهاده فی أمر الصلاة لقدّمه، إلاّ أنّه أراد التبیان بأنّ (رسول الله) هو المجدّ فی الصلاة، فالسیاق مهتمٌّ بالحدیث عن النبی(ص) لا غیره. ومن ذلک قوله(ع) فی ذکر بعض خصائله: «واللهِ لأن أبیتَ علی حسک السعدان[۳] مسهّدا، أو أُجَرَّ فی الأغلال مُصَفَّدا، أحبُّ إلیّ مِن أن ألقی الله ورسوله یوم القیامة ظالماً لبعض العباد وغاصباً لشیء من الحطام»(الخطبة۲۲۴)؛ فغرض الاهتمام هو الباعث علی تقدیم المسند إلیه وهو المصدر المؤوّل (البیتوتةُ علی النبات الشائک) فی مستهل هذه الخطبة التی تدور حول أهم خصلةٍ حاول الإمام طوال حیاته توطیدها فی نفوس أفراد المجتمع وهی الاجتناب للظلم والجور.

ومن الأمثلة الأخری الدالة علی نفس الغرض فی خطب الإمام(ع) ما قال فی أهمیّة العمل والتوبة والدعاء: «فاعملوا والعَملُ یرفَع، والتوبةُ تَنفع والدعاء یُسمع»(الخطبة ۲۳۰)؛ فبما أنّ عنایته متوجّهة نحو المسند إلیه(العمل والتوبة الدعاء) ذکرها مقدّمة ولو کانت غیر ذلک لأخّرها.

۱۳- إفادة التخصیص

یقسّم *الجرجانی* تقدیم المسند إلیه فی الخبر الفعلی المثبت إلی قسمین: أحدهما ما یفید تخصیصه بالمسند للردّ علی من زعم انفراد غیره به أو مشارکته فیه، مثل قولک: (أنا

---

۲. نَصِبَ فی الأمر : جدّ واجتهد

۳. الحَسک: نبات شائک

کتبتُ فی معنی فلان)، والثانی ما لا یفید إلا تقویة الحکم وتقریره فی ذهن السامع وتمکّنه، کقولک (هو یعطی الجزیل)(القزوینی، د.ت:۴۲).

نلحظ هذا الغرض فی قوله تعالی: «قال أغیر الله أبغیکم إلها وهو فضّلکم علی العالمین»(سورة الأعراف، الآیة ۱۴۰)؛ فتقدیم المسند إلیه(هو) علی المسند الفعلی یفید تخصیصه-سبحانه- بذلک المسند، أی وهو فضّلکم لم تفضّلکم الأصنام، فکیف تطلبون عبادة غیر الله وأنتم مغمورون فی أنعمه(عون ۲۰۰۶:ج۸۸۹/۳) ومن نماذج هذا الضرب من التقدیم فی خطب «نهج البلاغة» قول *الإمام علی*(ع) فی الإشارة إلی شجاعته وفضائله: «أنا وَضعتُ فی الصِغَر بِکَلاکِل العَرَبِ وَکَسَرتُ نَواجِمَ قُرونِ رَبیعَةَ ومُضَرَ[۴]»(الخطبة ۱۹۲)؛ فتقدیم المنسد إلیه (أنا) فی هذه الجملة تفید التخصیص؛ لأنّه یرید الإمام أن یشیر إلی لمحة من سوابقه المضیئة فی البأس والبسالة ویقول بأنّه لم یستطع أحد قبله أن یتغلّب علی شجعان العرب وأبطالهم، فهو الذی قام بوجههم وأبلاهم بلاء حسنا.

نتیجة البحث

تنقسم ظاهرة التقدیم والتأخیر إلی نوعین: النوع الأول هو التقدیم علی نیّة التأخیر(التقدیم المعنوی) حیثما لا یختلف الحکم الإعرابی للکلمة بمجرد نقله عن موضعه الأصلی وهو یضم تقدیم المسند؛ کخبر المبتدأ وتقدیم المفعول والنوع الثانی هو التقدیم لاعلی نیّة التأخیر(التقدیم اللفظی)، حیثما یخرج الشیء بالتقدیم عما کان علیه وهو یشمل تقدیم المسند إلیه؛ مثل تقدیم الفاعل علی الفعل، إذ یخرج من الفاعل إلی المبتدأ.

والمقصود بالمسند إلیه المقدّم هو الذی معناه الحقیقی فاعل أو مفعول ومعناه الوظیفی مبتدأ أو ما فی حکمه من اسم النواسخ ورتبته التقدیمُ وذلک لأنّ مدلوله هو الذی یخطر أوّلا فی الذهن ولکونه المحکوم علیه، فیسبق الحکم طبعا. ولیس یتقدّم عشوائیا دون أن یتابع غرضا معینا، بل لتقدیمه شتی الدوافع والدلالات البلاغیة تتصف بالروعة والجمال.

---

[۴].کلاکل: مفردها کلکل؛ الصدر. نواجم: مفردها ناجمة وهی من نجم ینجم الشیء: ظهر وطلع. قرون: مفردها قرن؛ الزیادة العظیمة التی تنبت فی رؤوس بعض الحیوانات.

-قد اهتمّ *الإمام علی*(ع) اهتماماً بالغاً للغاية باستخدام المسند إليه للتعبير عن أفكـاره ولتصوير اختلاجات صدره. فجاءت العناصر المقدّمة فی كلامه تخدم نوايا صاحبها وتـؤدّی دورها التعبيری وهذا ما يشير إليه التنوع الدلالی الموجود فی الأغـراض البلاغيـة لتقـديم المسند إليه فی خطب «نهج البلاغة».

لا تقتصر الأغراض البلاغية الكامنة وراء تقديم المسند إليه فی خطب أميرالمؤمنين(ع) على الاهتمام والاختصاص فقط؛ إذ تتجاوز إلى غيرها كتعجيل المسرة والتحذير والتشويق والمدح والتعظيم والتحقير والدعاء وذكر السبب وإفادة الشمول ونفيه.

پژوهشگاه علوم انسانی و مطالعات فرهنگی
پرتال جامع علوم انسانی

المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

ابن فارس، ابو الحسن أحمد بن فارس بن زكريّا. لا تا، **مقاييس اللغة**، تحقيق عبدالسلام هارون، بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر.

ابن الوردی، أبوحفص عمر بن مظفر. ۲۰۰۶م، **ديوان**، تحقيق عبدالحميد هنداوی، القاهرة: دار الآفاق العربية.

ابن يعيش، موفق الدين أبو البقاء. ۲۰۰۱م، **شرح المفضل للزمخشری**، تقديم إميل بديع يعقوب، بيروت: دار الكتب العلمية.

إسماعيل نعيم، مزيد. ۱۹۹۹م، **سيبويه البصری**، بيروت: دار ابن كثير.

البخاری، أبوعبدالله محمد بن إسماعيل. لا تا، **صحيح البخاری**، تقديم الشيخ أحمد محمد شاكر، بيروت: دار الجيل.

البستانی، فؤاد إفرام. ۱۴۲۷ق، **المجانی الحديثة**، ج۳، قم: منشورات ذوی القربی.

الجرجانی، عبدالقاهر. ۱۹۸۴م، **دلائل الإعجاز**، تحقيق ابو فهر محمود محمد شاكر، القاهرة: مكتبة الخانجی.

الجواری، أحمد عبدالستار. ۱۹۸۷م، **نحو المعانی**، العراق: مطبعة المجمع العلمی العراقی.

الخطيب، عبد الكريم. ۱۹۶۴م، **إعجاز القرآن فی دراسة كاشفة لخصائص البلاغة العربية ومعاييرها**، مصر: مطابع دار الكتاب العربی.

الرضی، رضی الدين محمد بن الحسينی الإسترآباذی. ۲۰۰۰م، **شرح الرضی علی كافية ابن حاجب**، تحقيق عبدالعال سالم مكرم، القاهرة: عالم الكتب.

الزمخشری، محمود بن عمر. ۲۰۰۳م، **أساس البلاغة**، شرح محمد أحمد قاسم، بيروت: المكتبة العصرية.

الزمخشری، محمود بن عمر. ۱۹۸۷م، **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل فی وجوه التأويل**، بيروت: دار الكتاب العربی.

سيبويه، عمرو بن عثمان. ۱۹۹۰م، **الكتاب**، بيروت: مؤسسة الأعلمی للمطبوعات.

الشافعی القسطلانی، شهاب الدين أحمد بن محمد. ۱۹۹۶م، **إرشاد الساری لشرح صحيح البخاری**، تصحيح محمد عبدالعزيز الخالدی، بيروت: دار الكتب العلمية.

شريف الرضی، محمد بن الحسين. ۱۳۸۹ش، **نهج البلاغة**، ترجمة محمد دشتی، مشهد: انتشارات نورالمبين.

ضيف، شوقی. ۱۹۶۶م، **تاريخ الأدب العربی فی العصر العباسی الأوّل**، القاهرة: دارالمعارف.

العامری، حميد أحمد عيسی. ۱۹۹۶م، **التقديم والتأخير فی القرآن**، بغداد: وزارة الثقافة والأعلام.

العسکری، أبو هلال. ۱۹۸۶م، **الصناعتین**، تحقیق علی محمد البجاوی ومحمد أبو الفضل إبراهیم، بیروت: المکتبة العصریة.
عون، علی أبوالقاسم. ۲۰۰۶م، **بلاغة التقدیم والتأخیر فی القرآن الکریم**، بیروت: دار المدار الإسلامی.
القزوینی، محمد بن عبدالرحمن. لا تا، **الإیضاح في علوم البلاغة**، تحقیق مجدی فتحی السید، القاهرة: المکتبة التوفیقیة.
کرمی میر عزیزی، بیژن وآخران. ۱۴۳۷ق، «**نقد و بررسی ترجمه برخی احوال مسند الیه در چند ترجمه فارسی نهج البلاغه**»، فصلنامه علمی- پژوهشی پژوهش‌های ترجمه در زبان و ادبیات عربی، شماره ۸، سال۳.
مطلوب، أحمد. ۱۹۸۰م، **أسالیب بلاغیة**، الکویت: وکالة المطبوعات.
مطلوب، أحمد. ۱۹۸۷م، **بحوث بلاغیة**، بیروت: دار الفکر للنشر والتوزیع.
هاشمی، أحمد. ۱۴۲۵ق، **جواهر البلاغة**، طهران: مؤسسة الصادق للطباعة والنشر.

پژوهشگاه علوم انسانی و مطالعات فرهنگی
پرتال جامع علوم انسانی